

## الجسد الأنثوي

### مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة الجزائرية معسكر نموذجاً

أ. حاكم مليكة

الملخص:

إن الموضوع في ميدان علم الاجتماع متنوع، ذلك لأن هذا العلم اهتم بكل جزئيات المجتمع الظاهرة والكامنة، المصرح بها والمحرمة لديه، وبهذا فقد مثل موضوع ومفهوم الجسد (في نفس الوقت) أهمية كبيرة في مجالات عديدة من العلوم (البيولوجيا، علم النفس والانثروبولوجيا..). ليدخل أخيراً الحقل البحثي لعلم الاجتماع، لهذا فإن هذه المداخلة تركز على الإشكالية التالية: هل يمكن للمرأة عن طريق جسدها أن تتحكم في وضع الطابو؟ لنضع لها الفرضيات التالية:

- 1- الجسد الأنثوي مجال لاشتغال الطابو.
  - 2- الجسد الأنثوي يعيد إنتاج السلطة الذكورية.
  - 3- الجسد الأنثوي لا يتحكم في وضع الطابو.
- مستخدمة في ذلك: المنهج الكيفي الذي يتناسب مع موضوع البحث المعتمد على تمثيلات ورؤى الأفراد والمجتمع لمفهوم الجسد الأنثوي وتصوراتهم حوله، ولهذا اعتمدت على المقابلة كتقنية لجمع المعطيات وكذا الملاحظة والتي ساعدتني في تحديد وبناء الموضوع بشكل أدق وأوضح، ولتكملة بناء الموضوع منهجياً ونظرياً استخدمت المقاربة الانثروبولوجية التي تهتم البنى الثقافية للمجتمعات والتي تترجم عن طريق سلوكيات وأقوال الأفراد والجماعات النابعة عن تمثيلاتهم حول موضوع أو مفهوم ما في المجتمع، ومن أهداف هذه الدراسة:

- 1- تكوين معرفة حول موضوع «الجسد الأنثوي» داخل مجتمعنا الذي يعرف بأنه (محافظ).
  - 2- التوصل إلى البنى الثقافية التي يركز عليها الأفراد في كل سلوكياتهم.
- من أهم النتائج المتوصل إليها:

- 1- الجسد هو مجال خصب لاشتغال الطابو (لارتباطه بمفهوم الطهارة، الممارسات الطقوسية...)، خاصة الجسد الأنثوي.

- 2- ارتباط الجسد برموز اجتماعية-ثقافية للمجتمع (الطهارة، الشرف، الملكية والسلطة الذكورية) خاصة الجسد الأنثوي
- 3- إن للطابو وظيفة مزدوجة وهي:
- \* الحفاظ على السلطة الذكورية عن طريق تقييد حرية تصرف المرأة وتصرفها في جسدها.
- \* العمل على تقوية قيم المجتمع واستمرارية نظامه الكلي.
- 4- هناك نوعان من الجسد الأنثوي:
- \* الجسد الأنثوي الخاص وهوملك للرجل ويتمثل في الزوجة، الأم، البنت، الأخت....
- \* الجسد الأنثوي العمومي وهو المتواجد في الشارع، الجامعات، أماكن العمل أي المتوفر في الفضاءات العمومية.
- 5- إن امتثال الجسد الأنثوي للطابو، يعمل على استمرارية السلطة الذكورية وإعادة إنتاجها من جهة، ومن جهة أخرى فرض وجوده ومحافظته على مكانته داخل المجموعة الاجتماعية، الأسرة، العائلة، المجتمع ككل (خاصة عن طريق حمايته لشرفه وشرف العائلة)
- 6- الجسد ككل سواء أكان أنثويا أم ذكوريا فهو حامل للثقافة ورمز لها.
- الكلمات المفتاحية:
- الجسد الأنثوي/ الطابو/ السلطة الذكورية/ الرمزية/ الثقافة/ الشرف.

تمهيد:

لقد شكل الجسد لنفسه مجالا معرفيا خصبًا، ذلك لأنه درس من طرف باحثين عدة وفي مجالات مختلفة -البيولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، السيميائيات، الدراسات الإعلامية والإشهارية-، ولذلك فإن البحث عن تعريف لهذا المفهوم يحتم علينا ولوج علوم عديدة ومقاربات مختلفة له، دون النسيان أهمية هذا المفهوم في علاقته بالطابو (التحريمات في كل مستوياتها الدينية والأج وكذا الثقافية).؟ كما أننا سنقدم العناصر عن طريق أسئلة فرعية مع الإجابة عنها في محتوى العنصر ذاته.

### 1- مفهوم الجسد:

إن موضوع بحثنا يدور حول الجسد الأنثوي وتموقعه في مجتمعا وارتباطاته بمفاهيم متنوعة، لكن قبل الحديث عن هذا الجسد، علينا التحدث عن الجسد بصفة عامة، فما هو مفهوم الجسد والجسد الأنثوي؟

لقد عرف «فرانسوا شريباز François Chripas» الجسد على أنه: "الصورة المعيشية والفعالة والمتحركة التي تتلاقى وتتألف فيها العناصر الحسية مع العناصر الحركية. إنه الإحساس الذي يجعلنا نحيا ونشعر بكل حركات عضلاتنا ومفاصلنا"<sup>1</sup>، ويشير "مالك شبال Malek Chebel" إلى أن الجسد هو وجود مادي فيزيائي، كما يضيف هذا الأخير بأن الجسد قد ذكر في القرآن الكريم، بأجزاء مختلفة (اليدين، العينين، الوجه...)، أما وروده في الحديث فيظهر بتمثيل الجسد بالمجتمع في تضامن أعضاء الجسد في حالة المرض بتضامن الأفراد في المجتمع، وكذلك في اختصار صلاحه بصلاح القلب وفساده بفساد القلب<sup>2</sup>.

في حين يرى "دافيد لوبروتن D. Le Broten" بأن الجسد هوبناء رمزي وليس حقيقة في ذاته<sup>3</sup>، مضيفاً بأن الجسد يعمل على تحقيق وجودين: الوجود الاجتماعي وذلك من خلال حمله لرموز المجتمع ومعايير فكل حركة أوفعل نجد لها خلفية في التنشئة الاجتماعية، كما يحقق الوجود الفردي<sup>4</sup> (بمعنى أن الجسد والتحكم فيه هو مؤشر على الفردانية).

فالجسد: كيان ثقافي عملي حي، ذلك لأنه بناء اجتماعي وثقافي وليس مجرد وجود مادي وحركات، بل يجد لنفسه معنى في العلاقات الخاصة به، وعندها يختفي الجسد الطبيعي ويظهر مكانه الجسد الثقافي - الاجتماعي، الذي يمنح الجماعة عنواناً، فهو بممارساته يحافظ على أفراد ومعايير الجماعة<sup>5</sup>.

ويذكر "Pierre Naville" عن "Watson" التعريف التالي: "الجسد هو تنظيم آلي وهويبدأ من خلية واحدة"<sup>6</sup> أما " Pierre Naville" فهو يعرف الجسد بأنه: "جسد الإنسان كله يقوم على فكرة أساسية - ردود فعل سريعة - وعند الوجوب يتم التركيب بين التنشيط البسيط

1- ماجستير: الممارسات الجسدية في المجتمع الجزائري مقاربة انثروبولوجية للجسد في علاقته بالهوية» إعداد طيبي غماري، 2000، تلمسان، 46

2- Malek Chebel: Encyclopédie de L amour en Islam; Paris; Édition Payot/ravages; 1995; P118

3 David Le Breton: Anthropologie du Corps et Modernité; Paris; Édition Puf/Quadrige; 1ere édition 1990; P13.

4-D. Le Breton: Anthropologie du Corps et Modernité; Paris; Édition Puf/Quadrige; 4ere édition 2005; P159.

5-D.Le Breton: Sociologie du Corps; Paris; Édition Puf; 6eme Édition; 9/2008; P37

6 - Watson dit que le corps »commence par n'être qu'une simple cellule ». \*\* Malek Chebel: Le corps en Islam ; France ; Edition Puf/Quadrige; 1ere Edition 1999 ; P 213.

والمعقد<sup>1</sup>، إن رؤية « Watson » و« Pierre » راجعة إلى أنهما من المدرسة السلوكية، كما يرى بأن الجسد وسيلة معرفية لأن الطفل عن طريقه يدرك ذاته.

كما تذكر "صوفية السحيري بن حثيرة" في كتابها "الجسد والمجتمع" تعريفا للجسد:

«هونظام من العلامات الدالة والمنتجة للمعاني، فهو موطن التعبير وقراءة الجسد كنص تفهم من خلال الجدلية بين الفرد والمجتمع»<sup>2</sup>، أين يكتسب الجسد قيمته وأهميته عن طريق ما يلحقه به المجتمع من دلالات ورموز، تجعله يحمل قيمة خاصة ومتميزة في تقابله مع مجتمع آخر.

كما علينا الإشارة إلى أن هناك أشكالا للجسد نذكر منها<sup>3</sup>: الجسد المعاش، الجسد الملاحظ، الجسد الثقافي<sup>4</sup>.

أما فيما يخص الجسد الأنثوي فهو حامل للرموز الدينية، الثقافية والاجتماعية، فهو يمثل موضوعا جنسيا، وعلى العموم هو مصدر الإنتاج وإعادة إنتاج النوع البشري، ولهذا اهتمت به الديانات التي فرضت عليه نظاما من النواهي والأوامر مجتمعة في ما يعرف بالطابوهات، كما يعمل المجتمع على نمذجة هذا الجسد وفق هذه النواهي والأوامر، وذلك للحفاظ على استمرارية بني المجتمع والسلطة الذكورية في أغلب الأحيان، ومن بين الرموز المرتبطة بالجسد، اللباس، فهو يدل على نمط الحياة الاجتماعي والثقافي للمجتمع دون مجتمعات أخرى، كما ترمز الزينة كذلك للأهمية التي يمنحها المجتمع لجمال وجاذبية هذا الجسد، إذ تمنح الزينة واللباس معنى للجسد الأنثوي وتجعله دالا بفعل المجتمع والثقافة. وذلك ما يذكره "مالك شبال" عن ابن العربي: فالعلاقة بين الجسد والجنس، تشرح وتجسد مفهوم

1 - Naville dit que: «le corps entier de l'homme est construit sur cette notion dominante: des réactions rapides et, lorsqu'il le faut, compliquées- à des stimuli simples et complexes ». \*\* M. Chebel: Le corps en Islam ; France ; Edition Puf/Quadrige; 1ere Edition; 1999 ; P 214. <sup>سلاط</sup>

الجسد، تونس، دار محمد علي حامي، الطبعة (01)، 2008، ص 353

3 -Abassi Zohra: Notion D Individu et conditionnement Social du Corps, psychologie de l Algérie; Alger; contenu Poraine/OPU; 11/2006;p72

4. الجسد الثقافي: وهو الجسد الذي يحل محل الجسد الطبيعي، ويتم التوصل إليه عن طريق التنشئة والتطبيع الاجتماعيين، فهو نتيجة للثقافة.

الجسد<sup>1</sup>، نظرا لما يتميز به الجسد على العموم والجسد الأنثوي بالخصوص من خصائص أهمها: إعادة إنتاج النوع البشري، الفتنة، والجاذبية الجنسية بالدرجة الأولى. فالجسد الأنثوي في مرحلة ما بين البلوغ وما قبل سن اليأس (في ذروة نموه البيولوجي) يشكل موضوعا جنسيا، هذا ما يعرضه داخل المجتمع ببنية ثقافية تركز على الشرف كأساس للأسرة والمجتمع إلى الإقصاء أو الإبعاد على الأقل من الحياة العامة ومن مجال السلطة والمعرفة على عكس الرجل، وضبط سلوكه وذلك للحفاظ على الشرف، والذي يمثل تابولا يمس، والمساس به يؤدي إلى فقدان شرف كلي (شرف العائلة، المجتمع...)، والأهم من ذلك فقدان الرجل لسلطاته ومكانته، ولهذا التمييز المرتبط بالجسد الأنثوي، والتغيرات البيولوجية المرافقة له (الحيض، النفاس...) يرسم له المجتمع والدين حدود المسموح والممنوع الذي ينتهي به إلى كونه جسدا منضبطا ومنمذجا وفق أعراف وتقاليد المجتمع.

وبعد هذه التعاريف الخاصة بمفهوم الجسد الأنثوي، يمكننا استخلاص هذا التعريف: \*وجود مادي ذبونية بيولوجية وفيزيولوجية متميزة عن بنية الجسد الذكوري، ذو وظيفة ثقافية واجتماعية تركز عليه في إعادة إنتاج الإنسانية أي المسؤول على إعادة الإنتاج البيولوجي (التكاثر...) والثقافي والاجتماعي للفرد والإنسانية (عن طريق التنشئة الاجتماعية). وهو في علاقة دائمة مع الجسد الذكوري الذي يحكمه بمجموعة من النواهي والضوابط الاجتماعية تكون ذات مرجعية دينية أو اجتماعية\*.

## 2- الجسد والتراث العلمي:

لقد سبق وأن ذكرنا أن الجسد لاقى اهتمام سائر العلوم وخاصة منها التشريحية- البيولوجيا- التي اهتمت ببنية، وظائفه وفاعليته، كما اهتم به علماء الاجتماع، والأنثروبولوجيين.. فما هي الرؤية الأنثروبولوجية والسوسيولوجية للجسد؟

### 2-1- الجسد في الأنثروبولوجيا:

تهتم الأنثروبولوجيا بتحليل الرموز والسلوكات الناتجة عن الفرد وكذلك للعادات الجسدية المتميزة من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر (اللباس، الوشم...) فأنماط الألبسة والوشم توضح السيرورة التاريخية، الثقافية لمجموعة دون أخرى، كما يعتبر الجسد أيضا الوجود

1-M. Chebel: Dictionnaire des Symboles Musulmans (rites...); Paris; Édition Albin Michel; 1995; p172.

الذي تمارس عن طريقه الثقافات طقوسها، تقاليدها، فهوليس مجرد وجود فردي بل هو وجود جماعي ينصهر ثقافيا واجتماعيا داخل المجتمع، رغم الاعتقاد بخصوصية هذا الجسد وفردانيته من جهة وامتلاكه من طرف صاحبه، إلا أن المجتمع له بصمة فيه وهي الثقافة، وهنا تظهر دراسة "Loux François" لتطور الأفعال الجسدية في المجتمع الفرنسي، حسب التطور الذي عاشه هذا المجتمع<sup>1</sup>. وكما يوجد جسد تشريحي، يشترك فيه كل البشر عدى وجود طفرات وراثية بيولوجية، فهناك جسد ثقافي متنوع حسب المجتمع وخصوصياته، ومتميز من مجتمع لآخر.

## 2-2 الجسد في علم الاجتماع:

كانت بداية الاهتمام السوسيولوجيا بالجسد متأخرة وذلك في فترة الستينيات، مع "M. Mauss" في مقاله "تقنيات الجسد Technique De Corps" ويقصد بها تسيير وترميز المجتمع للجسد وتحقيق فعالية للسلوكات، وبحث في أنماط الحركات، معاني التصرفات، حيث قدم "M. Mauss" دراسة حول تقنيات الإنسان (التحرك، التنقل، الجري، وضعية النوم، طريقة التغذية...) مع الاختلاف بين عرق وآخر، في حين تحمل هذه الدراسة، جانبا من الدراسة السوسيولوجية إذ يوضح «M. Mauss» أن هذه التصرفات والسلوكات الجسدية تمثل مؤشرا للتربية والثقافة، فالجسد بذلك يشكل علامة خاصة بأي مجتمع، وهو يوضح أيضا الفروق بين الأجناس البشرية وخصوصيات كل جنس على حدا. ويضيف "M. Mauss" بأن هذه التقنيات الجسدية (المشي، الجري، القفز، طرق الأكل، النوم...) ليست كما نعتبرها سلوكات طبيعية، بل هي في واقع الأمر سلوكات اجتماعية ومنمطة، إذ تشكل نتاجا ثقافيا للمجتمع<sup>2</sup>، كما وضح «M. Mauss» بأن الجسد وما يصدر عنه رمزيا وثقافيا يختلف من ثقافة لأخرى، لتختلف رؤية المجتمع للرجل والمرأة انطلاقا من السلوكات الرمزية لكل منهما<sup>3</sup>. أما "M. Foucault" فيربط بين الجسد والسلطة الاجتماعية وكيف أن هذه السلطة تظهر جلية في العادات الجسدية للأفراد وامتثالهم للمجتمع، ويشير "Vigarello" عن طريق دراسته للبرنامج البيداغوجي

1 -Abassi Zohra: Notion D Individu et conditionnement Social du Corps, psychologie de l Algérie; Alger; contenu Poraine/OPU; 2006; p98

2-Abassi Zohra: Notion D Individu et conditionnement Social du Corps, psychologie de l Algérie; Alger; contenu Poraine/OPU ; 2006; p86

3 -D.Le Breton: Sociologie du Corps; Paris; Édition Puf; 6eme Édition; 9/ 2008; p38 et 47

إلى معالجة المؤسسة التربوية لجسد الطفل وسلوكه (وكأنه مادة شائبة ومتوحشة) وتنميته حتى يتم إنتاج الشكل النهائي للجسد وفق النظام الاجتماعي<sup>1</sup>.

### 3- الجسد والمجتمع:

رغم الاهتمام المتأخر بالجسد في السوسيولوجيا على حد قول جاك لوكوف<sup>2</sup> "نسي التاريخ والمؤرخون الجسد رغم أنه كان ولا يزال صانع مأساة"<sup>3</sup>، إلا أنه يشير إلى أن دراسة الجسد تعني معرفة وفهم المجتمع، فما هي رؤية المجتمع للجسد والجسد الأنثوي؟ يعمل هذا الأخير على نمذجة أفراد منذ الولادة ضمن تجربة جسدية، إذ يلزمه بنظام ومعايير جسدية معينة، حيث يظهر ذلك جليا في اللباس والحركات...وهو بذلك يضمن استمرارية وعدم اندثار وجوده داخل كل فرد من أفراد هودائم الحضور في الجسد الفردي والذي في حقيقة أمره لم يعد ملك نفسه لأنه أصبح جسدا اجتماعيا<sup>4</sup>، ضمن عمل المجتمع على نمذجة الأفراد، يحافظ على ثنائية الجنس إذ تتم النمذجة لكل جنس على حدا وبمنء على الآخر إذ تعي المرأة جسمانياتها بطريقة تختلف عن وعي الرجل بجسده، حيث يتعامل الجنسين وفق معايير ضابطة التي تحدد العلاقة بينهما وفيها يكون المحدد الأول هو الجسد والجنس.

فهو بذلك يعتبر مصدر وضع القيم والمعايير، ذلك لما يحمله من جاذبية وأهمية جنسية، اجتماعية ورمزية، هذا كما يعمل هذا الجسد خارج مجتمعه وعن طريق (اللباس، السلوك والإحياءات المختلفة) على تحقيق التميز لمجتمعه عن باقي المجتمعات والديانات الأخرى، في الوقت الذي يشكل فيه رمزا ثقافيا من الدرجة الأولى، هذا فيما يخص الجسد، أما الجسد الأنثوي فقد عني باهتمام لا نظير له من طرف المجتمع، ذلك لارتباطه بمعان الفتنة، الإغواء، الشرف والكرامة،

1-Abassi Zohra: Notion D Individu et conditionnement Social du Corps, psychologie de l Algérie; Alger; contenu Poraine/OPU; 2006;p94 et95

2-صوفية السحيري بن حنيرة: الجسد والمجتمع دراسة انثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد-: تونس، دار محمد علي الحامي/مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة 01، 2008، ص13

3-J. Le Goff dit:«Le corps a été oublié par l'histoire et les historiens. Or il continue d'être l'acteur d'un drame»\*\*Soufi El Sahiri Ben Hatira:Etudes Anthropologique Des Croyances Et Des Représentations Du Corps En Ifriqiya mediterale-Édition ; Dar Mohammed Ali el Hamy -Moassat el intichar al arabi.1ere édition 2008 Tinisie.Page 13.

صوفية السحيري بن حنيرة: نفس المرجع، ص118، 2008، ص4-

هذا ما يجعله محاطا بأشكال وأنظمة متعددة من التحريم والعزل وكذا الإقصاء عادة من الحياة العامة لتفادي تدنيس قدسيته.

ذلك ما يظهر في المجتمعات المغاربية في تعبير "حرمة" «hurma» والتي تعبر عن الطابو المرتبط بوجود جنسانية لهذا الجسد، الذي يمنع كشفه أو كشف أجزاء منه أو التعامل مع الأغراب وحتى مع الأهل غير المحارم. فهو بذلك مليء بالطابوهات التي ترجع دائما إلى الطابو الجنسي. في المقابل لا يعبر هذا الجسد عن نفسه كونه جسدا ذا بنية بيولوجية، بل يتعدى ذلك إلى كونه ضمانا وواجهة للوجود العائلي والاجتماعي، ويتم ذلك عن طريق تنشئة الأنثى على قيم ومعايير "الحرمة" «hurma» أي كل ما هو ممنوع، والحياء "الحشومة" «hchuma» عندها يظهر الحجاب كشكل من أشكال الحماية لهذا الجسد والحفاظ على قدسيته المتمثلة في الشرف. وفي المقابل الرجل يملك جسده ويملك كل ما هو أنثوي وعليه فإن الطابو يحافظ على حقوق الرجال وسلطتهم على هذا الجسد وعلى ملكيته له<sup>1</sup>.

### 3-1 تمثيلات حول الجسد الأنثوي:

كما سبق ورأينا أن للمجتمع رؤية كلية للمجتمع، مع كل النظم التابعة له، لكن ما نحاول الوصول إليه هو ما اختصرناه في السؤال التالي: ماهي التمثيلات المنتجة حول الجسد الأنثوي ؟

إن التمثيلات المنتجة حول الجسد الأنثوي تنقسم إلى توجّهين:

\*التوجه الأول: وهو التمثيل الذكوري للجسد الأنثوي، بحيث يشير أغلبية المبحوثين إلى أن الجسد الأنثوي هو مصدر للشهوة والرغبة الجنسية، وهو بذلك مثير جنسي لهم، وفي هذا الصدد يقول أحد المبحوثين: "الجسد الأنثوي يعتبر فتنة للرجل" (35 سنة، متزوج، عامل). تركز هذه الرؤية على العامل الجنسي والأهمية الجنسية والجمالية للجسد الأنثوي، وفي هذا الصدد يقول: "جون بول سارتر J. Paul Sartre": "الرغبة ككل هي سقوط في تعقيدات الجسد"<sup>2</sup>، فالجسد إذن على العموم هو مكان للرغبة وتحقيقها.

كما يرجع التمثيل الرجولي للجسد الأنثوي إلى الترسيبات الثقافية الناتجة عن الميث المرتبط بالخلق والخطيئة، أين تظهر المرأة بجسدها في قمة الفتنة والإغواء ورمزا للخطيئة، إن هذه الرؤية التي يحملها

1. Dalenda Largeuche: Histoire des Femmes au Maghreb, Culture Matérielle et vie Quotidienne; édition CPU; 2000; p:258; 262 et 263

2. -J. Paul Sartre dit: «Le désir est tout entier chute dans la complicité avec le corps». \*\*Malek Chebel: Du Désir ; Paris; édition Payot/Ravignes; 2000 ; P59.

الأفراد عن المرأة وجسدها، نجدها في كل الديانات التوحيدية بحيث تحمل المرأة تبعات الأخطاء الواقعة في المجتمع، هذا ما نجده في النص التوراتي: «فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت {10}..... {11} قال من أعلمك أنك عريان هل التي من الشجرة التي نهيتك عن أن تأكل منها {12} فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت {13}»<sup>1</sup>، إن المسيحية هي أيضا حملت المرأة مسؤولية الخطيئة الأبدية وهنا نذكر ما جاء عن الفيلسوف المسيحي «ترتوليان» في المرأة: «أنت بوابة الشيطان، أكلت من الشجرة المحرمة، أغريت الرجل الذي لم يستطع الشيطان نفسه غوايته على نحو مباشر، أنت أيتها المرأة حطمت بسهولة صورة الله التي هي الرجل»<sup>2</sup>

إن من الواضح أن النص التوراتي هو الأصل في تكوين نظرية خطيئة المرأة ودونيتها، بحيث نلاحظ استمرارية الفكرة الرئيسية وهي مسؤولية حواء-المرأة بصفة عامة من بعدها- عن الخطيئة، هكذا أجمعت المسيحية واليهودية على أن المرأة هي الوريثة الشرعية للخطيئة الأبدية لامها حواء وهي السبب في خروج آدم من الجنة وزعزعة مكانته. وفي الإسلام أيضا ما يؤكد استمرارية هذه الرؤية، هذا ما يثبتناه لنا الحديث التالي: حدثنا هارون بن معروف، حدثنا عبد الله بن وهب: أخبرني عمرو بن الحارث، أن أبا يونس، مولى أبي هريرة، حدثه عن أبي هريرة، عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: «لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر»<sup>3</sup>، ورغم الأهمية التي أولاها الإسلام للمرأة- منحها الحق في الحياة، الميراث، التملك، الاستشارة في الزواج....- إلا أن الرؤية الأصلية لها لم تتغير، يعود ذلك إلى ترسخ هذه الفكرة في الفكر العربي، كما يعود ذلك إلى السلطة الذكورية في كل مجتمعات الديانات التوحيدية، أين يتم إلغاء المرأة من الحياة الدينية- أداء الطقوس الدينية مثل: صلاة العيد، صلاة الجنازة....- وتظهر مقولة «القديس أوغسطين» الذي: «انتهى فيها إلى الربط بين

1- الكتاب المقدس العهد العتيق: المجلد (1)، سفر التكوين، لبنان، دار المشرق، المجلد (01) 1985 الفصل (4) 13.10، ص 12

2- محمد الغيبار: صورة المرأة في التراث الشيعي- تفكيك لآليات العقل النصي- بيروت/ لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01) 2009، ص 55

3- صدقي جميل العطار: صحيح مسلم وهو المستند الصحيح من السنن لنقل العدل عن العدل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيروت/ لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ/ 2004م، ص 696

الذكورة والسمو والتفوق وبين الأنوثة والضعفة والانحطاط"<sup>1</sup>. إلى احتقار الرجل للمرأة واستضعافها

إن الرؤية الذكورية للمرأة تجد مرجعياتها القوية في الدين سواء كان يهوديا، مسيحيا أو إسلاميا فإنها دائما تابعة للرجل باختلاف التفاصيل من دين لآخر، من مرحلة تاريخية لأخرى. وذلك يعود تاريخيا إلى الميث المتعلق بالخلق، أما اجتماعيا فيرتبط بتحقيق النسب وبذلك الملكية، الميراث وانتقالها لذكور آخرين يجب توفرهم على صفاء النسل.

\*التوجه الثاني: ويتمثل في الرؤية الأنثوية لهذا الجسد والتي تختلف عن الرؤية الذكورية، أين ترى أغلبية المبحوثات أن الجسد الأنثوي هو مجرد بنية بيولوجية كالجسد الذكوري تماما ويتم الاعتناء به فيما يخص النظافة واللباس ويعود ذلك كون أن المرأة عليها الاعتناء بنفسها وجسدها. وفي هذا الصدد تقول إحدى المبحوثات: "لا أرى في جسدي شيئا آخر سوى كونه بنية بيولوجية، لها أعضاءها ووظائفها الخاصة" (لم تذكر سن، متزوجة، عاملة).

إذن تنقسم التمثلات المرتبطة بالجسد الأنثوي إلى: كونه مكانا للرغبة وتحقيقها وهذا فيما يخص الرجل، أما بالنسبة للمرأة فهو بنية بيولوجية، لكن من الضروري الاعتناء به صحيا وجماليا لأنه ملك للرجل، إلا أن المرأة تستخدم جسدها ومفاتيحه للإغراء وسنستحضر مثالين عن ذلك: الأول من الفكر المسيحي والثاني من الفكر الإسلامي. \*المثال الأول: حيث نستحضر رأي الفيلسوف المسيحي «جرجوري ثاوميتيرجس» في المرأة: "إنهن يخدعن عقول الرجال بوسائل زينتهن، ويقطرن لهم السم بنظرة من عيونهن، ثم يأسروهن بأفعالهن"<sup>2</sup>.

\*المثال الثاني: يقول "الموسوي" في شرحه (خ153)، أين ذكر الإمام علي الحيوانات وصولا للنساء: "فذكر البهائم... وإن السباع.... أما النساء فهمهن زينة الحياة الدنيا بان تظهر بأحسن صورة وأفضلها وهمهن الفساد في الحياة بما يبتذلن ويتبرجن ويثرن غرائز الرجال وشهواتهن"<sup>3</sup>، أين تصلح المقولة هذه لعصرنا الحالي وذلك راجع إلى أنه مقارنة مع عصور سبقت يعتبر الأكثر ثراء في مجال الزينة وحتى

المرجع السابق: صورة المرأة في التراث الشيعي، 2009، ص 52-1

2- محمد الخباز: صورة المرأة في التراث الشيعي- تفكيك لآليات العقل النصي- بيروت/ لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01) 2009، ص 57

3- محمد الخباز: صورة المرأة في التراث الشيعي- تفكيك لآليات العقل النصي- بيروت/ لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01) 2009، ص 57.

الإغراء ويرجع هذا إلى تنوع الوسائل الإعلامية (مثل الفضائيات، الانترنت...).

#### 4- الجسد الأنثوي والرمزية:

##### 1-4 الجسد الأنثوي والطهارة الجنسية:

إن جميع الدراسات التي أجريت حول الجسد بصفة عامة انتهت إلى كونه يمثل شبكة من الرموز الثقافية، فماهي المفاهيم التي يرتبط بها الجسد الأنثوي؟ وماهي الأهمية التي تمنحها له هذه المفاهيم؟ إن أهمية الجسد تتمثل في رؤية المجتمع له والمفاهيم التي يربطها به، كما يترجم المجتمع نفسه وقيمه، وذلك من خلال طرق اللباس والسلوكات الجسدية (المشي، الأكل، الضحك...) وردود الأفعال وغيرها. ..، ذلك ما يؤكد عليه "مار سال موس Marcel Mauss" في حديثه عن تقنيات الجسد، وكيف أن هذه السلوكات لا تتماثل بين المجتمعات وحتى في المجتمع الواحد. وبذلك يخلص إلى أن هذه السلوكات هي نتاج ثقافي - اجتماعي توضح التمايز الثقافي والاجتماعي لأي مجتمع من جهة، وتصوره للجسد وكيفية التعامل معه من جهة أخرى.

يحمل الجسد الأنثوي رمزية أكثر، ذلك لارتباطه بمفهوم الطهارة والنجاسة ليس بالمعنى الضيق للطهارة الحسية للجسد، بل للطهارة الجسدية الجنسية، بحيث يحلينا الجسد الطاهر جنسيا الذي لم تنتهك قدسيته إلى مفهوم آخر وهو الشرف، والذي يمثل أكثر الرموز الثقافية المتعلقة بهذا الجسد، فالجسد المحافظ على طهارته، يحافظ على شرفه ومكانته لكن بالخصوص شرف العائلة ومكانتها وسلطانها. إلا أن الجسد الأنثوي الذي انتهكت قدسيته يؤدي إلى فقدان العائلة لشرفها ومكانتها وبالخصوص سلطتها، كما يفقد جاذبيته وأهميته.

لهذا يعيش الجسد الأنثوي مخاوف حول مصيره في المجتمع وذلك في حالة ما إذا فقد طهارته وقديسيته. ذلك لأن طهارته مهمة في سيروية حياته ضمن وسطه الضيق - الأسرة، العائلة الكبيرة - وعلى العموم المجتمع. فقدان الشرف في المجتمع العربي المسلم، يترتب عليه عقوبات اجتماعية كالإقصاء والتهميش من الأسرة والمجتمع. كما تترتب عليه جرائم الشرف، وذلك رغم الانتساب الظاهر للمجتمعات العربية في مرحلة الحداثة<sup>1</sup>.

1-ABD Al-Rahim Lamchichi: Femmes et Islam l Impératif universel d égalité; Paris; Edition L harmattan; 2006;P111;112

إلا أن مفهوم الشرف المرتبط بهذا الجسد، يحيلنا إلى مفهوم الملكية والسلطة -أي ملكية الرجل لهذا الجسد-، فملكية الرجل لهذا الجسد، تخول له ممارسة السلطة عليه بفرض الضوابط. ودائماً في رمزية الجسد الأنثوي للشرف، حيث يؤدي فقدان الجسد لطهارته الجنسية يؤدي إلى فقدان شرفه وسقوط ملكية الرجل عليه وبذلك تنهار سلطة الرجل والأسرة معا في المجتمع.

#### 4-2 اللباس ورمزيته الثقافية:

إن للجسد علاقة برموز ثقافية متعددة ومن بينها اللباس، فما هي الرمزية التي يحملها اللباس في مجتمعنا؟

إن اللباس هو رمز من الرموز الثقافية التي توضح الاختلافات الموجودة بين المجتمعات أوحى في المجتمع الواحد: من حيث الطبقة الاجتماعية مثلاً، مبرزا بذلك المستوى الاجتماعي والثقافي للأفراد من جهة. كما يحمل رموزاً تتعدى المستوى الاجتماعي تتمثل في: الطهارة، العفة وكذا الحياء، فالحجاب مثلاً يرمز إلى الالتزام وبالخصوص الشرف، أما اللباس المكشوف فهو يحيلنا إلى رموز مغايرة تماماً مثل: الفسق وعدم الحياء وعدم الشرف، وكأن هذا الجسد المكشوف يعرض مفاتنه وتفصيله مؤدياً بشرفه وطهارته إلى التدنيس. وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين: "يعامل الجسد الأنثوي حسب اللباس" (35) سنة، متزوج، عامل).

#### 5- الجسد الأنثوي والسلطة الذكورية:

##### 5-1 مساهمة الجسد الأنثوي في إعادة إنتاج السلطة الذكورية:

إن السلطة الذكورية لا تتحصر ضمن مجال واحد، وهي اجتماعية، اقتصادية وسياسية، كما تمارس هذه السلطة على المرأة وجسدها ضمن صيغ الأمر والنهي - الممنوعات، الإباحات - ويجب على هذا الجسد أن يخضع لها. فكيف يمكن للمرأة وجسدها المساهمة في إعادة إنتاج السلطة الذكورية؟

تعمل التنشئة الاجتماعية على نقل القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد إلى الأفراد منذ طفولتهم ويكون ذلك بداية من الأسرة وبالتحديد الأم حيث يقول سقراط: "للرجال السياسة وللنساء البيت"<sup>1</sup>، فهي إذن المسؤول الأول في نظر المجتمع عن تنشئة الأفراد حسب ما يخدم المجتمع ونظامه، ومن بين هذه القيم التي تنقلها المرأة الأنثى هي الطاعة والحفاظ على شرف وقدسية الجسد الأنثوي وطهارته الذي

روجي غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال طبرجي، بيروت، دار الآداب، د.ت، ص 26-1

يؤهلها لخدمة الرجل وطاعته، فهي بذلك تتمذجها وفق ما ينسجم مع النظام الاجتماعي والثقافي في المجتمع. في المقابل تنشئ الذكر على السلطة والحرية التامة. وفي هذا الصدد يقول أحد المبحوثين: "تنشئ الأنثى على المحافظة على النفس وشرفها، في مقابل تنشئ الذكر على السلطة والرجولة التامة" (37) سنة، أعزب، عامل).

كما أجمع أغلبية المبحوثين على أن المرأة تساهم في إعادة إنتاج السلطة الذكورية عن طريق التنشئة الاجتماعية وذلك بوضوح الجسد الأنثوي لكل الممنوعات التي تفرضها عليه الأعراف والتقاليد، وكذا عن طريق طاعتها للسلطة التي يمارسها الرجل عليها وعلى جسدها مهما كانت طبيعة العلاقة بينهما (الأب، الأخ، الزوج، من الأقارب...). فالمجتمع ولدوافع اجتماعية أهمها الحفاظ على السلطة الذكورية فيه يعمل على فرض قوانينه على الأنثى كونها تمثل تهديدا مستمرا للرجل وسلطته، أين يشتغل في البداية الامتياز الجسدي للذكر (ليكون هذا الامتياز والتفوق الذكوري مبررا لحجب المرأة وممارسة السلطة عليها، أين تحكمه مخاوف الإغراء)، أما في الجزء الثاني من السلطة الذكورية يشتغل الامتياز المعنوي الذي يمنحه المجتمع للرجل-الذكر- دون المرأة- الأنثى- وهنا نذكر». د. تراكي زناد «حيث تستشهد بفقرة من نص الكاتب الجزائري "مولود فرعون": "أخي ليحفظه الله لي، خذ حصتي من اللحم"<sup>1</sup>، إذن فالمرأة وجسدها تخضع باستمرار للسلطة الذكورية.

وهذه السلطة التي يمارسها الرجل على المرأة هي أعمق وأقدم كل السلطات التي يمارسها سواء كانت بالنسبة للعرق أو الطبقة<sup>2</sup>.

## 5-2 الجسد الأنثوي والتحرر من السلطة الذكورية:

يمثل هذا العنصر المستوى الثاني من العلاقة بين الجسد الأنثوي والسلطة الذكورية وسنحاول فيه الإجابة عن السؤال التالي: هل تمكنت المرأة عن طريق التعلم والعمل وخروجها للفضاء العمومي من التحرر من السلطة الذكورية وتحرير جسدها؟.

وفي هذا الصدد يشير أغلبية المبحوثين والمبחות أن هذه السلطة مستمرة على المرأة وعلى جسدها مهما تعلمت وعملت ومهما

- كاظم الحجاج: المرأة والجنس «بين الأساطير والأديان»، بيروت/لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01، 2002) ص 21

- روجي غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال طبرجي، بيروت، دار الآداب: د.ت، ص 25

كانت المناصب التي تعطيها فهي دائماً تابعة للرجل وسلطاته، بحيث يقول أحد المستجوبين "العمل والدراسة لم يجعل المرأة تتحرر من السلطة الرجولية ولن تحرر من هذه السلطة. فهذه سنة الله في خلقه» (34 سنة أعزب، بطل). وهذا ما نجده في النص التوراتي الذي بين أيدينا: "وقال للمرأة لكثرت مشقات حملك بالألم تلدين البنين وإلى بعلك تنقاد أشواقك وهويسود عليك" {17} <sup>1</sup>. وتتواصل نفس الأفكار والبنى الدينية حول سلطة الرجل وتبعية المرأة في النص الإنجيلي إذ يقول «بولس»: "أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب، لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح هو رأس الكنيسة" <sup>2</sup>، إن هذه السيروية الفكرية في الديانات التوحيدية حول المرأة وتفوق الرجل نجدها أيضاً في الدين الإسلامي وذلك ما نلمسه في الحديث الذي بين أيدينا: قال رسول الله عليه السلام: "لو كنت أما أحد أن يسجد لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" <sup>3</sup>

إن المجتمع العربي سواء قبل الإسلام أو بعده يرى أن المرأة تحافظ على إنتاج النسل الذكوري ولتحقيق هذا النسل وصفاءه، يعتمد المجتمع العربي على مفهوم الطهارة (العذرية حتى ليلة الزفاف)، وبذلك الحفاظ على الشرف، هذا ويتم أيضاً حجبهن ومنعهن من إقامة علاقة مع الرجال - خوفاً من فقدان الشرف - لم يغير الإسلام هذه الرؤى المرتبطة بالمرأة بل حافظ عليه بنصوص تحريمية - الزنا، البغاء، كشف الجسد أمام الرجال الأغراب لدرجة منع مصافحة المرأة للرجل -.

إذن فالمرأة سواء كانت متزوجة أم لا تخضع لسلطة الرجل، أما فيما يخص مكانتها في المجتمع فهي في الدرجة الثانية - نصف المجتمع - حيث ينوب عنها في كل أمورهما بوصفه الوكيل - الولي <sup>4</sup>، فهي الفرع وخلقت من ضلع آدم فهي لاحقة في التكوين والخلق أما هوفالأصل في التكوين والخلق، وهذا ما يرسخه دائماً الميث المرتبط بالخلق.

1- الكتاب المقدس: العهد العتيق: المجلد (1)، سفر التكوين، لبنان، دار المشرق، المجلد (01)، 1985 الفصل (4) 17-، 1985، ص 12.

2- محمد الخياز: صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي/ بيروت/ لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01) 2009، ص 75

3- نفس المرجع: صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي/ بيروت/ لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01) 2009، ص 75

4- Ouvrage Collectif: L'Etat des Religions dans le Monde; Edition la Découverte/ Edition le CERF; 1987; Ps568 et 569

ان هذه النصوص على اختلاف مرجعيتها الدينية واختلاف ديانات توحيدية، فإنها تشترك في نقطة واحدة وهي: السلطة التي يتمتع بها الرجل دون المرأة وعلى حسابها، فهي مخلوقة منه فهي وتابعة له في كل أمرها، وفي هذا الصدد يقول توما الاكويني: "إن الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل، ولم يخلق الرجل من اجل المرأة، بل المرأة من اجل الرجل"<sup>1</sup>، وفي هذا الباب أقوال كثيرة من الديانات الثلاث تجسد في الأخير السلطة الذكورية في مجتمعاتها.

كما نجد هذه الرؤية عند أغلب المبحوثات واللاتي أشرن إلى أن العمل والدراسة يغيران نسبيا من رؤية المجتمع للمرأة، ولكن لا يحررانها من السلطة الذكورية، وفي هذا الصدد تقول إحدى المبحوثات: "المرأة لا يمكنها أن تحرر من سلطة الرجل حتى ولو صعدت للمريخ" (33 سنة، متزوجة، عاملة)، كما تضيف أخرى "إن الرجال قوامون على النساء، وعلى المرأة أن تحترم دائما الرجل - الأب، الأخ، الزوج. .. - وتبقى دائما تحت أمره ونهييه وتطيعه" (30 سنة، عزباء، عاملة)، لتبقى المرأة وجسدها خاضعة للسلطة الذكورية ذلك لأن الرجل يملك كل ما هو ذكوري وكل ما هو أنثوي<sup>2</sup>، وبهذا الشكل تصبح الملكية لهذا الجسد المبدأ الأول لممارسة السلطة عليه سواء كانت المرأة متزوجة أم لا، فإن عليها الخضوع لسلطة مالكاها أو على الأقل المسؤول عنها، والحفاظ على شرفه ومكانته الاجتماعية، فالحفاظ على هذه الملكية يتم عن طريق تأميم المرأة وجسدها-إن جاز القول-.

ولكن رغم السلطة الممارسة عليها إلى أنها تتمتع بسلطة مغايرة وفي فترة محددة من حياتها، حيث تذكر Camille Lacoste في «Dujardin» كتابها «Des Mères Contres Les Femmes» بأن المرأة في المغرب العربي- ونقصد المرأة الأم - هي المرأة الوحيدة التي تتميز بالمكانة والسلطة والاحترام، لدرجة حمل الرجال- من العائلة: الابن بالخصوص - لصورته في "Portefeuille" وهي أكثر النساء المحبوبات لدى الرجل المغربي، وذلك يعود إلى كونها أما، وبذلك فهي تمارس سلطة اجتماعية- في الأسرة بالخصوص- على كنفها وحتى ابنها- حيث لا يتم التصرف دون العودة إليها، ابن يعد

1- المرجع السابق: صورة المرأة في التراث الشيعي تفكيك لآليات العقل النصي/بيروت/لبنان مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (01/2009)، ص71

2-Dalenda Lagueche: Histoire des Femmes au Maghreb, Culture Matérielle et vie Quotidienne ; Tunisie ; CPU, 2000;P262

خروجاً عن مشورتها، ولا يمكن لابنها أن يهدي شيئاً لزوجته دون موافقتها<sup>1</sup> -، أين يمنح المجتمع المغربي أهمية للمرأة المتزوجة وعلى الخصوص - الأم - ومن المهم أن تكون أما للذكور حتى بوجود الإناث - تعمل المرأة دائماً ضمن الدائرة التي رسمها لها الدين والتقاليد مهما خرجت للفضاء الخارجي وانخرطت به كعاملة، طالبة، فإنها عندما تصبح - أم - تعمل على نقل المعايير والقيم السائدة فيه ومن بينها: تنقل للطفل الذكر السلطة - حتى إذا كان صغير السن - . مثل: حرية التصرف، الخروج من البيت دون إعلام أحد.... وفي المقابل تنشأ الأنثى على الطاعة (وتتعلم الأنثى الطاعة مهما كانت العلاقة التي تربطها بالرجل - أبوية، أخوية، قرابة، زوجية)، أين تمارسها بوعي أو لاوعي فالرجل لا يمكنه أن يتقاسم حقوقه وسلطته معها<sup>2</sup>.

#### 6- الجسد الأنثوي والطابو:

لقد رأينا كيف أن الجسد البشري على العموم وبغض النظر عن الجنس يكتسب قدسية وذلك لأنه يعيد إنتاج النوع البشري لكنه مدين في مقابل الروح، كما قد يكون هذا الجسد سبباً في تدنيس المقدس باختراق الممنوعات المتعلقة به، وترتبط بالجسد ممنوعات تتعلق بالطهارة في كل مستوياتها الحسية والجنسية. ما هو الطابو؟ وما هي الوظيفة التي يوفرها الطابو للجسد الأنثوي؟ وما هي الوظيفة التي يسديها الجسد الأنثوي للطابو عن طريق امتثاله له؟

قبل الحديث عن الوظيفة التي يوفرها الطابو للجسد الأنثوي وكذا هذا الجسد للطابو، علينا التحدث عن مفهوم الطابو.

مفهوم الطابو Tabou: في أول الأمر، لقد عرف الطابو اختلافاً في مرادفاته في جل المجتمعات وكذلك كتاباته فهو: المحظور، الممنوع، ويكتب: Tapou/Tabou/ Taboo / Kapou . حيث عرف هذا المفهوم استعمالاً واسعاً في النصوص الدينية والتي تنص على ما يجب فعله - المسموح - وما لا يجب فعله - الممنوع - أو تنسب إليه مواضيع تمنع دراستها أو مناقشتها فهي مواضيع محرمة، وكان استعماله بصيغة المحرم.

الطابو: هو مصطلح بولونيزي، كما اتفقت كل الدراسات على ذلك، وهو يعني في البولونيزية: "الحدود التي يجب أن نحترم في النماذج

1-Camille Lacoste Dujardin: Des Mères contre les Femmes-maternité et patriarcat au Maghreb; Paris; Édition la Découverte/ textes à l'appui; 1986;Ps136 et 138

2-Ouvrage Collectif: L'Etat des Religions dans le Monde; Edition la Découverte/ Edition le CERF; 1987;P570.

الدينية والاجتماعية والتفرقة بين الشخصيات وكذا الممارسات، الأمكنة والعلاقات الاجتماعية<sup>1</sup>:

في حين يرى "Wundt" بأن الطابويقدم الرمز غير المكتوب والأكثر قدما للإنسانية<sup>2</sup>، في حين يعرفه "E. Durkheim" على أنه: "مجموع التحريمات الطقوسية، وذلك لتدارك الأخطار الناتجة عن - العدوى السحرية - التي تمنع كل احتكاك بين شيء أوشريحة من الأشياء، التي يفرضها أساس فوق طبيعي، وليس له طبيعة واحدة، أوليس من نفس درجة، هذا الاحتكاك"<sup>3</sup>.

إن ارتباط هذا الجسد بمفاهيم أخرى كالشرف وتحقيق النسب وإعادة إنتاج النوع البشري، فقد ارتبطت به مجموعة من الطابوهات سواء دينية أو اجتماعية ثقافية. فإن أهم هذه الطابوهات هي المتعلقة بالعلاقات الجنسية غير الشرعية لدرجة يكون الحديث عن هذه العلاقات وخصوصياتها من الطابوهات التي تدنس هذا الجسد، في هذا الصدد يقول "مالك شبال Malek Chebel" بأن من أهم الطابوهات في الإسلام تلك الطابوهات التي ترتبط بالمرأة وجسدها وهي تتعلق بالجنس<sup>4</sup> - كما سبق ذكر ذلك في الفصل النظري - وهذا الطابويوجد على المستوى الاجتماعي والثقافي أين تمثل المرأة وجسدها عورة، بحيث لا يجب عليها إظهار مفاتن جسدها، لأن ذلك يكون الطريق إلى الوقوع في الخطيئة ومعها فقدان الشرف. ولهذا، على الجسد الأنثوي أن يمتنع عن كل ما يهدد قدسيته ويؤدي إلى فقدان شرفه، بحيث يشكل الجسد الفاقد لشرفه جسدا ميتا لا أهمية له داخل الوسط الاجتماعي، الذي يعطي أهمية كبيرة للشرف وطهارة هذا الجسد على المستوى الجنسي.

ليعمل الطابوأيضا على الحفاظ على مكانة العائلة وسلطانها، كما تعمل الممنوعات على إقصاء هذا الجسد من الفضاء العمومي،

1- J. G. Frazer: «le terme en vint à représenter la dimension négative et prohibitive de l'expérience du sacré, visible dans les règles d'approche et de mise à l'écart, de pureté et d'impureté, de distinction entre initié et non-initié». \*\*Jaques Vidal et autres: Dictionnaire des Religions; Paris; PUF; 1ere Edition; 1984 ; P1647.

2-Sigmund Freud: Totem et Tabou; Paris; Édition Payot; 1968; P30.

3- «On appelle de ce mot, écrit Durkheim, un ensemble d'interdictions rituels qui ont pour effet de prévenir les dangereux effets d'une contraction magique en empêchant tout contact entre une chose ou une catégorie de choses, ou est censé résider un principe surnaturel, et d'autre qui n'ont pas ce même caractère ou qui ne l'ont pas au même degré ». (Roger Caillois: L'homme et Sacré; IDEE GALLIMARD; 1950 ; Ps 22; 23.

4-Malek Chebel: Dictionnaire des Symboles Musulmans (rites...); Paris; Édition Albin Michel; 1995; P595.

ويكون الأصل في ذلك إلى أن هذا الجسد هو رمز الفتنة والإغراء  
ويثير الغريزة الجنسية للذكر ورغبته.

وبذلك قد تتعرض من المرأة وجسدها إلى انتهاكات تدنس  
جسدها وتمس شرفها وشرف العائلة مثل العمل والدراسة، أين يكون  
هذا الجسد عرضة للاعتداءات والتحرشات.

وبهذا فقد تمنع المرأة غالبا من الدخول في بعض مجالات  
العمل دون أخرى مثل المهن العسكرية والإدارية وكذلك كباثة  
أوسائقة أين تتواجد داخل فضاء عمومي ذكوري بشكل واضح، أما  
فيما يخص منع دخول المرأة في المهن العسكرية فالمنع يتعلق بالسلطة  
التي يتمتع بها الرجل على عكس المرأة. بحيث يتميز الذكور بممارسة  
النشاطات العسكرية الإدارية والسياسية التي تشكل سلطة من سلطات  
التي يمارسها الرجال<sup>1</sup>، في المقابل يبيح المجتمع للمرأة النشاط ضمن  
المهن التعليمية والصحية لأنها الأكثر ملائمة لطبيعتها وذلك وفق رؤية  
المجتمع لها، حيث نجد هنا أغلبية المبحوثين يرون بأن القطاعات التي  
تلائم المرأة هي التربية، التمريض، أي ما تمارسه داخل بيتها، بحيث  
يقول أحد المبحوثين: "يعتبر التعليم أفضل عمل للمرأة وفي المرتبة  
الثانية تأتي المهن الصحية، وما عدى هذين القطاعين فلا حاجة  
للمرأة" (34 سنة، أعزب، بطال)، ورغم خروج المرأة للعمل ضمن  
مجالات واسعة مع الرجل، فيبقى ذلك لظروف اجتماعية واقتصادية  
فتحت المجال أمامها، لكن ذلك وفق إرادته وسلطته. وفي هذا الصدد  
تقول إحدى المبحوثات: "هناك نساء تعمل لكن في الواقع الرجل هو من  
يتحكم في أجر عملها، لدرجة أنه هو من يحسب المال في  
الواقع" (33 سنة، متزوجة، عاملة)، ويعود منع الرجل للمرأة من  
ممارسة النشاطات السياسية أو العسكرية، إلى كون المرأة غير مؤهلة  
بدينا للانخراط في الجيش وكذا من الناحية الدينية فيما يخص الحجاب،  
 ويعود ذلك إلى خوفه على سلطاته بكل أشكالها.

إن فإن الطابولا يرتبط بهذا الجسد في مجال محدد. بل  
هو متفرع لكن في المقابل أصله واحد وهو الطابو الجنسي والحفاظ على  
شرف هذا الجسد.

يعمل الرجل على فرض هذا الطابو على الجسد الأنثوي الذي يملكه  
(البنات، الأخوات، الزوجات..) لأن هذا الجسد بامتثاله للطابو والامتناع عن

3- روجي غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال طبرجي، بيروت، دار الآداب، دت، ص 24-1

كشف مفاتنه وتدنسيه بالدخول في علاقات جنسية يحافظ على سلطة الذكر وشرفه واسم العائلة.

أما في المقابل، فالجسد الذي لا يملكه -إن جازت تسميته- الجسد الأنثوي العمومي والذي يتواجد في فضاءات عمومية، حيث يعمل هذا الرجل الذي كان يفرض الممنوع على الجسد الذي يملكه -هونسفه يعمل على اختراق هذا الطابو بالتحرش بهذا الجسد سواء لفصيا أوجسديا - جنسيا، كما أن الجسد الأنثوي يلقي تحريمات أكثر من الجسد الذكوري على المستوى الاجتماعي وذلك يرجع إلى الرمزية التي يحتويها والمسؤولية التي يوليها المجتمع له في محافظة على شرف العائلة والمجتمع، وفي هذا الصدد يقول أحد المبحوثين: "الممنوعات المفروضة على الجسد الذكوري أقل منها، مقارنة بالجسد الأنثوي" (34 سنة، أعزب، بطل).

ليتضح ذلك أكثر في قول إحدى المبحوثات: "مهما يفعل الرجل فهويبقى رجل في نظر المجتمع، أما المرأة تبقى امرأة مهما كانت مظلومة فهي دائما الملامة والمخطئة في نظر المجتمع" (30 سنة، عزباء، عاملة)، فالمرأة وجسدها يحسب عليهما كل شيء، ولذلك عليها أن تحرص على فعل ما يناسب العائلة وذكورها والمجتمع ككل، أما الرجل فهو حر، وحتى إذا ما دخل في علاقة غير شرعية وانتهاك قدسية الجسد الأنثوي، فإن هذا الجسد هو في الأصل رمز للفتنة والإغواء والخطيئة ولهذا يجب عليه الامتنال للطابو، إلا أن امتثال هذا الجسد للممنوعات يكون بشكل نسبي، ويتم ذلك للحفاظ على شرف هذا الجسد وأهميته التي تكمن في طهارته الجنسية.

إن الأهمية المتعلقة بهذا الموضوع وخصوصا في مجتمعنا تجعل من هذه المشاركة مدخلا إلى دراسات متلاحقة حول موضوع الجسد الأنثوي ودلالاته الثقافية في المجتمع.

## المراجع

### 1- الكتب: 1-1- بالعربية:

1. الكتاب المقدس: العهد العتيق. لبنان، دار المشرق، المجلد (1) 1985.
2. روجيه غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة. ترجمة جلال مطرجي، بيروت، دار الآداب، بدون تاريخ.
3. صدقي جميل العطار: صحيح مسلم.
- وهوالمسند الصحيح المختصر من السنن لنقل العدل عن العدل، عن رسول صلى الله عليه وسلم. - بيروت/لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1424هـ - 2004.

4. صوفية السحيري بن حنيرة: الجسد والمجتمع.  
-دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد-.
- تونس، دار محمد علي الحامي - مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (1)، 2008.
5. كاظم الحجاج: المرأة والجنس - بين الأساطير والأديان -.
- بيروت/لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (1)، 2002.
6. محمد الخباز: صورة المرأة في التراث الشيعي - تفكيك لآليات العقل النصي -.
- بيروت/لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة (1) 2009.
7. رسالة ماجستير: الممارسات الجسدية في المجتمع الجزائري.
- مقارنة أنثروبولوجية للجسد في علاقته بالهوية -
- إعداد: طيبي غماري/ إشراف: عفيفة مشربط. ع 2000. تلمسان.

### 3- الكتب بالفرنسية: 3-les ouvrage en français

1. Abassi Zohra: *Notion D'individu Et Conditionnement Social Du Corps Psycho-sociologie De l'Algérie Contemporaine.*  
Alger; OPU ; 11-2006.
2. Abd Al-Rahim Lamchichi: *Femmes Et Islam L'impératif Universel D'égalité* ; Paris; Edition L'harmattan ; 2006.
3. Camille Lacoste - Dujardin: *Des Mères Contre Les Femmes - Maternité Et Patriarcat au Maghreb-*.  
Paris; Edition la découverte/ textes a l appui ; 1986.
4. Dalenda Largueche: *Histoire Des Femmes Au Maghreb, Culture Matérielle Et Vie Quotidienne* ; Tunisie; CPU ; 2000.
5. David le Breton: *Anthropologie Du Corps Et Modernité.*  
Paris; Puf/ Quadrige ; 1ère édition ; 1990.
6. David le Breton: *Anthropologie Du Corps Et Modernité.*  
Paris; Puf/Quadrige ; 4<sup>ème</sup> édition ; 2005.
7. David le Breton: *Sociologie Du Corps*  
Paris; Puf ; 6<sup>ème</sup> édition ; 09-2008.
8. Jacques Vidal et autres: *Dictionnaire Des Religions.*  
1<sup>ère</sup> édition Puf ; 1984 ; Paris.
9. Malek Chebel: *Le Corps En Islam*  
France; Puf/ Quadrige ; 1<sup>ère</sup> édition 1999.
10. Malek Chebel: *Dictionnaire Des Symboles Musulmans (Rites...)*  
Paris ; Edition Albin Michel ; 1995.
11. Malek Chebel: *Encyclopédie De L'amour En Islam.*  
Paris; Edition Payot/ Rivage ; 1995.
12. Malek Chebel: *Du Désir.*  
Paris; Édition Payot/ Ravages. 2000.
13. Roger Caillois: *L'homme Et Sacré*  
Idée Gallimard ; 1950.
14. Sigmund Freud: *Totem ET Tabou*  
Edition Payot; 1968; Paris.
15. Ouvrage collectif: *L'état Des Religions Dans Le Monde.*  
Paris; Edition la découverte / Edition le CERF ; 1987.